« رواية مسلسلة » بقلم : ثروت أباظه

- ٢٧ -

أنهى محمد دراسته في كلية الطب وعين في قصر العيني وانقطعت صلته نهائيا بعزيزة دون أن يكون له أولها يد في هذه القطيعة فقد تدخل بينهما مئات من الأميال وتشرشل من انجلترا ، فقطعا الصلة بينهما ، تواعد الجنود الانجليز وأصبحت عزيزة شخصية مرموقة في دنيا الليل وتفرغت لهؤلاء الزبائن تحسب طلباتهم وتحلب عن أصدقائها القدامى مرغمة على ذلك ارغاما .

وعاد محمد الى نفسه وحيدا — رفيقه الحديدة ساعة يعلقها على رقبته فرحا بها يوما وأسبوعا وشهرا ثم أحس بها طوقا حول عنقه يحيط به بوشك أن يخنقه - وعاد صائما - فرح بنفسه وهو يمر بالمرضى كالله صغير يشخص المرض ويصف الدواء ، يوما وأسبوعا وشهرا ثم اكتملت الصورة في ذهنه — انه نهيم يدور في مستشفيه والسماعة حول عنقه هي البر على رقبة النهيم - نعم هو نهيم ، نهيم منذ ادرك الحياة .. سبحانه انوه من أنعم حتى تخرج من كلية الطب واليوم يسخره المرض والمرضى ، مسكين بساعته يوهمونه بها انى يشاؤون .

اريد أنا ان أفعل شيئا .. أريد أن أفعل شيئا ، وكلما وعد صالته في روحته فتذكر فجأة انها مازالت روحته .. لماذا ؟

ولم يكلفه الامر كثيرا ، ورقة الزواج في يده فما هي الا جلسة عند المأذون الذى تكفل باحضار الشهود حتى كانت روحته طالقا - ووضع ورقة الطلاق في حقاب الى ابيه وبات ليلته غير متزوج - فكر لحظة في ابنه احمد وسرعان ما همست له نفسه «البركة في الحاجة» .

وانقضى الزواج .

واحس انه صنع شيئا — ولكنه ما لبث ان عاد الى السماعة والمرضى والمرضى ، وما لبث ان عاد صائما .

سمع حسين بطلاق أخيه ، فقد كانت أنباء البلدة تأتيه بانتظام من صديقه حمدى وعاود حسين الأمل القديم أن يتزوج هنيه .

لماذا ؟ لاادرى ؟ كيف هى الآن لا ادرى ؟

أمل قديم طالما كنت اهفو الى تحقيقه ؟ كان الرواح بها مكانة اتطلع اليها ، وكنت اتطلع أيضا الى أن اصبح شيخا ذا عمامة وقور ، وأنا اليوم احاول أن انسى العمامة ماوسعنى الجهد ، وكنت ارجو أن يسألنى الناس الفتوى ، فأبى أنا اليوم من الفتوى ، وكنت ارجو أن تأتى هنيه هذه بالذات فتقبل طرف الجبة وتسألنى فى شئون دينها فأجيب ، فأبى أنا الآن من هذا جميعه ، ولكنى أريد أن أتزوجها ؟

قد يقبل ابوها ولكن ماذا يقول الحاج والى ؟

وطلب حسين أجازة من المدرسة وقصد الى قريته التى فارقها منذ سنوات بعيدة ونزل اليها ؟؟ غريبا نزل ؟؟ لم يعرفه أحد ولم يعرف هو أحدا ، الفلاحون وجوههم ليست غريبة عنه وهى غريبة ، يعرف السمات ولا يعرف الأسماء ، ويعرف الرائحة التى تهب عليه مختلطة بأنفاس القرية فتعود الى ذهنه ذكريات يدفعها عن نفسه بادلا غاية الجهد الا تعود هذه الذكريات ؟؟ لا ، لايريد ، لايريد الا هنيه ثم يعود الى القاهرة هناك حيث يضيع فى الزحام الكبير ، ويكتب شعرا ويصادق من يجد عندهم نغما حتى ينتهى هذا النغم فتنتهى الصداقة ؟

مشى حسين فى القرية يرد عن نفسه الذكريات التى تتواكب عليه من اشجارها من تلالها ، من طرقها ، من بيوتها ، بل من سمائها ، ومن انفاسها ، ومن رائحة اعشابها وزرعها ؟

لم يقصد الى بيت الحاج والى ، لا ولا الى بيت جده ، وانما قصد الى بيت أبى هنيه ؟؟ فما كان يريد الا هنيه ؟

قال لأبيها :

ـ أتذكرنى يا عم عبد الحميد ؟

وتفرس فيه عبد الحميد لحظات قليلة ثم قال :

ـ الشيخ حسين ؟؟ كيف أنت يا شيخ حسين ؟

ـ الله يطيل عمرك ؟؟ عرفتنى بعد هذه السنين الطويلة وبعد أن غيرت العمامة بالطربوش ؟

ـ كيف انساك يا شيخ حسين وانت من بلدى ؟؟ كيف حالك ؟

ـ الحمد لله ؟

ـ سمع اغانيك فى الراديو ؟ كلامك حلو والله ياشيخ حسين ؟

ـ الله يكرمك يا عم عبد الحميد ؟

وصاح عبد الحميد من مكانه :

ـ القهوة يا عبده

وقال حسين في تظاهر بالطمأنينة :

ـ آسف والله لما حصل من أخي .

ـ كل شيء قسمة ونصيب ياسي الشيخ .

ـ ياترى يدعم عبد الحميد لو أردت ان أصلح

ـ حد الله بيننا وبين محمد ياشيخ حسين ـ هو الآن دكتور ونفسه كبرت عليا ـ يا ابني اراك عمرك روحا لايعيم مع زوجته ثم لايكتفي بهذا بل يطلقها ايضا ولا يفكر في ابنه الصغير ـ لا ـ لا ياشيخ حسين ـ حد الله بيننا وبين محمد .

ـ انت لم تهم قصدى يا عم عبد الحميد ٠

ـ خيرا ٠

انا اريد ان اخطب هبيه لنفسى ٠٠ انا مدرس ومرتبى ٠٠٠

انتظر يا ابنى ٠٠ انت تريد أن تتزوج طليقة أخيك ؟ ٠

ـ ما أحله الله لايحرمه العبد ياعم عبد الحميد ٠

وسكت عبد الحميد مطرقا وامعن التفكير ثم قال

ـ هل سألت الحاج والى يا شيخ حسين ؟

واربع على حسين فما كان ينتظر هذا السؤال ، ثم قال متلعثما

ـ اردت أن اسألك أولا ٠

ـ لا ياابنى ـ فهبيه ما تزال أم ابنهم ـ والحاج والى تأثر مما فعله ابنه ، تأثرا كبيرا ، وهو يبر البنية حتى اليوم ويأتى لزيارتها دائما ويسأل عنها ـ وانت على كل حال يا شيخ حسين ابنه ، لايبكر المعروف الا ابن الحرام ، انت ابنه ياشيخ حسين

وقال حسين مسرعا

ـ طبعا ـ طبعا يا عم عبد الحميد وهل أستطيع الانكار ٠

ـ اسأله اولا ياابنى ـ اسأله أولا

ودخلت هبيه حاملة القهوة ٠٠ ونظر اليها حسين ٠٠ انها ليست هى ٠٠ لا ، ولا هى التى تصور انه سيراها ٠٠ ولكنه مع ذلك مصمم على الزواج بها ٠ لماذا ٠٠

لا يدرى لماذا ؟

* * *

حين دخل حسين الى البيت الذى ترعرع فيه ـ استقبله البيت ، رائحة القرن التى لم تتغير ، ورائحة الذكريات التى ما زالت تطالعه منذ نزل الى القرية ٠ الا أن رائحتها هنا فى هذا البيت كانت أشد عمقا ، كأنما هذا البيت هو المصدر الذى تتوزع عنه الذكريات الى القرية جميعا ٠

أحس حسين الخوف يسيطر على قلبه لايدرى لماذا ـ ومد يده الى جيبه اليسرى يمسح الدمعة المتحدرة ٠ وتوقف فى صحن الدار يقلب النظر يحاول أن يستعيد بعض شجاعته ولكن الخوف كان يهاجمه فى قسوة ٠٠ خوف لايدرى مأتاه ولا أسبابه وانما هو رعشة فى القلب ـ وبرودة تتمشى فى أوصاله ، وتتسع ـ وترتد صدى تجربته فى البيت جميعا ثم عاد يمسح دمعة لم تكن موجودة وراح يدير عينيه مرة أخرى حواليه ثم خطا خطواته الاولى وصعد السلالم ، تفيل الخطوات حتى اذا بلغ منتهاها وجد الحاج والى جالسا على اريكته لم يغيرها ولم يغير جلسته عليها ، كأنه كان جالسا ينتظره عائدا من الكتاب ـ أو كأنه ظل جالسا هذه السنوات الطوال لم يتحرك من مكانه ٠

وغير بعيد منه على الارض جلست الحاجة نعمة تلاعب طفلا أدرك من فوره انه احمد بن محمد وان خيل اليه للحظة عابرة انه محمد نفسه ، ونظر الحاج والى ونظرت الحاجة نعمة ودون ان يشعرا ارتسمت ابتسامة مرحة على شفاههما وهمهما بالفاظ لم يكن حسين يحتاج الى كثير ذكاء ليدرك انه ترحيب يجمع الى الدهشة الصدق والحب وقبل حسين يد الحاج والى ثم ركع على الأرض ليقبل يد الحاجة وسحبت يدها لترتب ظهره في حنان !! وراح الكلام يسيل من شفتيها .

ـ اوحشتنى ياحسين .. اسمع كلامك فى الراديو واقول لنعمى والله ربيت ونعمت واشتاق اليك .

واسرعت الدمعة من العين اليسرى لحسين فلم يمسحها واحس انه يحتاجها فقد كانت عيناه عاصيتين عن دمعة تائر .

ولم يرد الحاج والى عن قوله :

ـ كيف أنت يا حسين ؟

ـ الحمد لله ياابا الحاج .

ثم التفت الحاج الى زوجته :

ـ جهزى العشا لحسين ياحاجه .

ـ من عينى .

وقامت وامسكت احمد من يده وخرجا ولم يكن يخفى على الحاج ان حسين يريد امرا ولكنه آثر الا يسأله ، وانما راح يسأله عن عامة شئونه فيقطع الحديث باجابات تقليدية .

ـ كيف حال المدرسة ؟

ـ الحمد لله .

ويهوم الصمت .

ـ أما تزال فى بيتك ؟

ـ لا ـ نقلت الى شقة .

ـ ويهوم الصمت .

ـ أغانيك حلوة يا حسين .

ـ الله يبقيك يابا الحاج .

ـ اشتريت راديو خصيصا لأسمع اغانيك .

ـ الله يبقيك يابا الحاج .

ـ ويهوم الصمت ٠

ويفكر الحاج فيما يمكن أن يكون سبب مجيء حسين ويفكر حسين فيما يمكن أن يكون فاتحة الحديث الذى يريد أن يسوقه ، ويرتفع صراخ احمد لحظة ، ثم يطلهما الصمت مرة أخرى فتعلو أصوات الضفادع والصراصير والكلاب ويتنحنح محمد ثم يقول فى صوت متسلح :

ـ أبا الحاج ؟

ـ نعم يا ابنى ٠

ويرفع حسين يده الى عينه الدامعة ٠

ـ أريد أن أعرض عليك أمرا ؟

ـ قل ياحسين ٠

ـ أريد أن أتزوج ٠

ـ على بركة الله يا ابنى ٠ ومن العروس

وفى سرعة يقول حسين :

ـ حفيبه ؟

ويعتدل الحاج فى جلسته ويلقى الى حسين نظرة داهشة ـ

ـ من ؟

ـ حفيبه ؟

ـ امرأة أخيك ؟

ـ طليقته

ـ لماذا ؟

ـ أريد أن أصلح ما فعله أخى ٠

ـ هل تحبها ؟

وصمت حسين لحظة وتنحنح وقال :

ـ ماذا ؟

ـ هل تحبها ؟

ـ نعم ٠

ـ هل تحبها حقيقة يا حسين ؟

ـ نعم .

ـ هل تحب أحدا ياحسين ؟ هل تحب احدا على الاطلاق ؟

ودهش حسين من السؤال فاستعلق عليه الحديث هنيهـــة ثم قال وكأنه لم يسمع :

ـ نعم ؟

ـ اقول هل تحب احدا على الاطلاق .. هل تعرف الحب ؟

نعم أنت شاعر .. تقول الشعر في الحب والغرام والهيام ولكن هل تعرف الحب يا حسين ؟

ـ ياأبا الحاج أنا مقصر ولكن معروفك ومعروف الحاجة لا ينسى .

ـ أنا يا ابني لاأسأل عن المعروف انما أسأل عن الحب هل تعرف الحب يا حسين ؟

ونسبه حسين الى نفسه ، وكأنما جعله السؤال انه انسان ناقص .. ينقصـه الحب ، وأطرق ثم قال :

ـ اذا أمرت ألا اتزوج عليه فأنا طوع أمرك .

وصمت الحاج وواصل حسين حديثه :

ـ انها شديدة وستتزوج وانا اول من العريس .

وأطرق الحاج بعض الوقت ثم قال في لهجة من يريد أن ينهي موضوعا :

ـ اعمل ما تريد ياابني .. اعمل ما تريد .

ـ كثر خيرك ياأبا الحاج .

ثم اطرق دون أن يحس فرحا ولا حزنا ومسح الدمعة عن عينه .

وهوم الصمت وارتفع صوت الصعادع والصراصير والكلاب .

- ٢٨ -

أنهى محمد فترة النمرين بقصر العيني وعين طبيبا بالمستشفى الاميري بالرقازيق

واستقبل أمر تعيينه في غير رضى ولا فرح فما كان يريد أن يكون قريبا الى يد أبيه التي حطت به مستقبله وما كان يريد أن يكون في البلدة التي شهدته طفلا وعلى انه يريد أن يبتعد ، يبتعد ليشق لنفسه ما بقي من طريق ، يريد أن يختار اصدقاءه ، ويختار حياته كما يشتهي ، أي موظف احمق في وزارة الصـحة اختار له هذا المكان .. لا شك انه موظف يبحث عن أيسر الأمور سأل من ابن محمد فقيل من الشرقية فقال يذهب الى الرقازيق ، وماذا يستطيع محمد أن يقول بعد هذا .. فلم به الى الرقازيق

وليسارع الضياع مرة أخرى .. فان استطاع أن يتخلص منه فليرتمي في شبكة أبيه والطريق الذي يريد أن يخطه له دائما .

وازاء أبوه واستقبله بكل ترحاب ، انه يحبه ، لكنه يريد أن يخط لنفسه طريق نفسه . لعله كان يختار الطب لو ترك له أن يختار ولكنه هو لم يختر فهو يحس انه مسوق في طريق لايملك فيه لنفسه مصيرا ، اما كان يكفي اباه أن يحبه ويختار له اسما ويختار له التعليم منهجا ، أكان لابد أيضا لأبيه أن يختار له الطب .. ويختار له الزوجه ويختار له البيت الذي يعيش فيه .. نعم انه طلق زوجته ولكنه مع ذلك يحس أن الخيوط التي ترتبط حياته خيوطا عريضة عليه ، ليس بينه وبينها أصرة من تعرف ، هي عريضة عن نفسه لا جذور لها في أنحاء كيانه ، خيوط تمتد اليه من خارجه لا هي نبتت من داخله ، ولا نبت معه .. ولا واكبت حياته ، لا يستطيع ان يتذكر متى فكر في كلية الطب ولا لماذا اختارها ولم يختر غيرها .. لا ولا يستطيع أن يقول في نفسه انه قارن بين كلية الطب وغيرها من الكليات ، لقد وجد نفسه فيها كما وجد اسمه محمد وكما وجد زوجته هيبه ، طريق دفعته اليه يد أبيه فما استطاع عنه حولا ولا مصرفا ، واليوم يحل موظف الصحة الأحمق محل ابيه فيختار له الزقازيق لايستشيره ولا يحاول ان يتعرف ميله . القلق يساوره منذ جاء الى الزقازيق .. الخوف .. لماذا انه لايدري اهو يخشى أن تلتقي به يد أبيه مرة اخرى ؟ أم هو يحس أن يطبه الضياع على امره ؟ أم يخشى نفسه فقد طالما ساورته الخشية من نفسه ، قلق لايفارق نفسه فان خلا لنفسه بعد ساعات العمل فتكت به براثن القلق فهو يلجأ الى الاصدقاء من الزملاء وهم لايقيمون في بيت أحد منهم وانما يقصدون الى النادي .. وهم عشاق لايقصرون تسليتهم على الحديث وانما يلجأون من ملالتهم الى لعب البوكر ، لعبة سهلة التعليم سريعة الكسب سريعة الخسارة . ولم يستمرئ محمد كثير وقت ليصبح من اللاعبين المداومين . وقد كان أحرأ لاعب على المائدة فما كان يخاف شيئا الا الخوف الذي يحس به وهو بعيد عن اللعب .. كان عندما يلعب ينسى كل شيء ولا يعاوده القلق الا وهو بعيد عن اللعب . وبعد فماذا كان يمكن أن يخيفه غير ذلك .. ان قصر المرتب أن يطلب من ابيه عونا ولن يرد أبوه له طلبا فهو من الناحية المالية آمن على نفسه ، ويستمرئ في اللعب . ويعرف أبوه انه اذا اراده يجده في النادي ويعرف ايضا انه يقامر ويعود سحب الصباب تتكاثف امام عينيه . لا حول ولا قوة الا بالله . . اربى اثنين فيصبح الأول زانيا لا يخجل بالمعروف الذي قدمته له حتى ليتروج طليقة ابيه واخيه ويصبح الثاني مقامرا ويحتسب الله في أولاده ويعاوده السؤال القديم .. لماذا نصر على ان تأتي بالاولاد ، وتتجمد السحابة من الضباب امام عينيه والسؤال في ذهنه ويسعى اليه وهو على المصطبة أمام بيت حاره الحاج مهدي .

ـ ياحاج أتستطيع ان تطلب لنا الدكتور محمد ؟

ـ نعم ياحاج مهدي .. فيم تريده ؟

ـ زوجة ابني عثمان متعسرة في الولادة .

ـ اطلبه من تليفون ارس العابدين بك .

ويقوم الحاج وانى الى التليفون ويطلب ابنه وتحف كثافة الضباب أمام عينيه ويهتز السؤال فى ذهنه بعض الشىء ٠

- ٢٩ -

منذ قدمت آمال الى قرية الحميدية وهى ملقاة فى البيت تطالعها من أبيها نظرات حائرة حائرة عاتية ، ومن أمها صوت دائم التقريع لاتتلون نغمتـــه ابدا ٠ وهى بين نظرات أبيها وصوت أمها فى أتون من العذاب لاتجد ما تفعله الا أن تجلس وحيـــدة حتى تأتى الى أمها زائرات وتأمل الى ان أمها لن تستطيع ان تسىء اليها فى حضرتهن فهى تأخذ مكانها معهن وتستمع الى الحديث وتشارك فيه ٠ ولم يمض كثير وقت حتى اصبح لها هى زائرات فى مثل سنها وأصبحت حياتها هى أولئك الزائرات وأحاديثهن ولم تكن أحاديثهن الا عن أزواجهن ، والخوافى الخفية من أسرارهن تسعدن بأن تلقينها على مسامع آمال فما تحدى الأسرار والأحاديث أن تبدد وحدتها أو تؤنس وحشتها ٠

وكانت زائرات آمال ينقلن اليها فيما ينقلن احاديث القرية واحداثها وفى هذه الايام كثر الترديد لاسم الدكتور محمد ، فالقرية تتحدث عن مهارته فى الطب والولادة والقرية تسوق الأمثلة على مهارته حقيقية حينا ومختلقة أحيانا ، والأحاديث تتواكب وتبلغ مسامع آمال فيما يبلغها من احاديث وترتع فى نفسها أمرا ٠

فهى تصحو ذات صباح وتجد انها مريضة وتريد أن يراها الدكتور محمد الذى تلهج القرية بمهارته ويدفع حب الاستطلاع أمها أن تستدعى محمدا الذى حملته طفلا رضيعا لترى كيف اصبح بعد ان صار طبيبا ، ولا يرى الأب مانعا ، ويأتى الدكتور محمد ٠ ٠

ويدخل محمد الى الحجرة وتلتقى عيون افترقت منذ سنوات طويلة ٠٠ عيون كانت طفلة لاهية واصبحت اليوم شابة مرت على النظر والنقد ، كان محمد مشوقا الى هذا اللقاء هو أيضا ٠٠ كان يريد أن يرى هذه القطعة من طفولته كيف أصبحت حين مسها الشباب ٠

ودامت النظرة لحظات ٠ وبدا أن كلا من الاثنين رضى عن صاحبه ، وابتسمت الأم ، وضحا محمد فجاء ليبدأ الكشف وحنى امه الثغب الى الأم فى ادب

ـ أتسمحين حضرتك بملعقة لأرى اللوز ٠

ـ حاضر

وخرجت الأم وقالت آمال فى صوت لايخلو من السخرية

ـ ما للوز وللمقص يادكتور ٠

ـ انا لاأرى بك شيئا

ـ ادن ٠٠٠

ـ لا أدرى ٠ ٠لعلك كنت تريد ان تكشفى أنت على ٠

وضحكت وقالت :

ـ وانت ... الم تكن تريد ذلك ؟

ـ نريد ان نرى طفولتنا .

ـ وكيف وجدت طفولتك ؟

ـ هي بخير عندك ولكني لا اطلبها بخير عندي .

ـ لماذا .. أنت دكتور قد الدنيا !

وضحك ساخرا وهو يقول :

ـ يتهيا لك .. أتصدقين كلام الفلاحين .

ـ لقد عرفت مرضي .

ـ لانه نفس مرضي !

وتدخل الأم بالمقعة ويلقي الدكتور نظرة اخيرة على الحنجرة ، ولا يلبث أن يقول في لهجة جادة :

ـ ورد بسيط ، سأكتب لها دواء وامر غدا ان شاء الله .

وتعرف آمال انها وقعت من نفسه حيث تريد أن تقع ويخرج محمد .

ولا يمر كثير وقت حتى يذهب محمد الى ابيه .

ـ بابا أنا اريد أن اخطب .

ـ مين ؟

ـ آمال بنت زين العابدين بك .

ـ مين ؟

ـ مالك يابا هل في هذا بأس .

ـ يا ابني طلعت في العالي .

ـ انا بابا طيبا ولي اسمي ولي مركزي .

ـ أخاف أن يرفض .. ابك تزوجت مرة ولك ولد .. وهم غيرنا يامحمد .

ـ لانحب .

ويعود الحساب الى الحاج والى .. كان لابد لي أن ألاقي الرفض والهزء أيضا .. مالنا نحن ولزين العابدين بك .

ولا يسوف الحاج والى كثيرا بل يشهر عرضة يحلو فيها الى زين العابدين بك

ويتقدم ببطئه ، ويدهش الحاج والى .. لقد رحب به الرجل .. رحب به ترحيبا اخافه أكثر مما أفرحه .. ولا بعض كثير وقت حتى يتم الزواج ولكن الضباب لا يبارح الحاج والى كلما فكر في شأن هذا الزواج .

- ٣٠ -

أتلك هي الحياة التي كنت أصبو اليها ، أهذا هو الفن الذي عشت عمري أهفو ان أكون واحدا من أهله ، أعيش في رحابه وأقضي عمري في ظل منه ، أهذا هو الشعر الذي كنت اريد أن أنظمه .. ماذا أصبحت ، كيف خبطت من الحياة الى هذا الجانب المظلم فيها ، وهذا الجانب القاتم الداكن .. من أنا ، حمار ، بعير ما يطلب منه ، بلا عن ولا روح ، ولا توازع ، أين هذه التهويمات التي كانت تتراقص في داخلي تريد أن تصبح كلاما وتلح فاذا هي متحجرة كاليسوع الأصيل دون حفر أو بحث أو تنقيب ، ماذا أصبحت .. ياحسين تريد اغنية يكون مطلعها كذا وكيت ، ياحسين تريد قصيدة تقول فيها كذا وكيت ، هم الذين يقولون وانا أتلقف اوامرهم لأحمل منها نظما لأحد فيه شيئا من نفسي وانما هو نفوسهم وما يطلبون وهل أستطيع ان اقول لا .. وكيف أعيش ، هذه تروحت هنيه وهي لاتترك عاما دون ان تقدم الى فما جديدا يريد ان يعيش ويعيش ، من أعصابي يعيش ، بقطات من دمي ومن كرامة في الهدرة ، لم يكن هذا ما اريد ، كنت احب الشعر أقوله وأجد فيه نفسي ومشاعري أنا .. ، لا مطالب المطربين والمطربات .. عاين مني هذا الشعر الآن .. أصبحت كآلة الكتابة ، اكتب ما يراد لي ان يكتب بقارن واحد اني أحرجه نظما امقته .. امقته .. أين هذا من الفن ، ولكن هل يدري هؤلاء الاطفال في صرختهم الجائعة بماذا يفاجئون ؟ باشلاء مني الذي ودعته بلا أمل في اللقاء .. ومن أين لي اللقاء .. ماذا أصبحت .. مدرس وموظف للأغاني لدى المطربين والمطربات ، وتسامح مصر بما اقول ولكن ما ابعض ما أقول الى نفسي ، هذا ليس أنا .. كلما امتدح أحد في بعض مقطوعاتي احسست كأنه يمتدح عريا لي أكرهه ، وأعيش .. من جثة آمالي أعيش ، من دماء أحلامي أعيش ، وهنيه واولادهـا يأكلون .. لايدرون ماذا يأكلون .

وانهمرت دمعة على خد حسين وتحسسها بيده ثم نظر الى مائها على يده وأنعم النظر وكأنما يريد أن يعرف عن أي منبع انهمرت هذه الدمعة ، هي الدمعة التي الفها تنهمر دون ان يدعو اليها داع أم هي صادرة عن نفسه هذه التي يمزقها الألم وتأكلها النيران .

ودق جرس التلفون في البيت ، فقد أرغمه عمله أن يكون في بيته تليفون ، وامسك السماعة .

- نعم .

وجاءه الصوت آمرا أكثر منه راجيا ، ولم يحد ما يقول الا حاضر .

وسأله الصوت فاجاب :

ـ بعد أسبوع ٠

وجاءه الصوت مرة أخرى فأجابه

ـ حاضر ٠٠ أقل من أسبوع ٠٠ نعم فهمت ما تريد ٠

نعم سيكون كما تريد ٠٠ نعم ٠٠ حاضر ٠٠ نعم ٠٠ حاضر ٠

ووضع السماعة وظل يردد ٠ نعم ٠٠ حاضر ٠٠ نعم ٠٠ حاضر ٠

- ٣١ -

أقام محمد وعروسه بالزقازيق واستطاع أن يحلو لها فى أول حياتهما الزوجية بضعة أسابيع ، ولكن نداء القمار كان عالقا يطن فى أذنيه طنينا متصل الجرس حتى لم يستطع أن يمهله فعاد طريقه الى النادى وماندة القمار وعادت آمال الى الوحدة ٠

الا أنها فى هذه المرة كانت فى مدينة فما أسرع ماارتبطت أواصر الصداقة بينها وبين جاراتها الساكنات بالدور الأعلى والأجريات المعينات بالبيوت المقابلة أو الملاصقة، ولكن ما أقل ما تنتهى هذه الصداقات فللزيارات أوقات تنتهى عندها وهى اشد ماتكون حاجة الى الصديقة فى الأوقات التى لاتصلح للزيارة ٠٠ هناك فى أعماق الليل حين لا تسمع الا الصمت ولا ترى الا الظلام ٠ ٠فى هذه الأوقات التى تمتد بغير نهاية تريد هى الصديقة ٠٠ تريد من يسمعها انها تزوجت لمجرد الزواج ٠٠ تريد من يجعلها لا تذكر انها تزوجت لانها ترمت بالسجن فى القرية ٠٠ تريد زوجها الذى تزوجته عن غير حب ليقول لها انه يحبها ٠٠ او ليقول لها أى شىء وليستشفها من هذه الوحدة التى عانت منها الكثير هناك فى القرية لا يحيط بها الا عصب أبيها وترمت أمها ٠

لم تكن الجارات اذن يعنين شيئا بالنسبة لها ، فقد كانت الفلاحات بالقرية يجتمعن فى بعض المواعيد التى تتبادل فيها الزيارات مع جاراتها لم يرد عليها فى بيت زوجها الا انها أصبحت تزور معه القاهرة من حين الى آخر ٠ وكانت تستطيع هنا أن تزور صديقتها ناهد التى تزوجت هى الاخرى وان كانت ما زالت تسير حياتها كما كانت تسيرها وهى بعد فتاة فى المدرسة ٠ كانت هذه الزيارات الى القاهرة هى المتعة الوحيدة التى أحست آمال بها ٠ولم تكن قد أعدت نفسها لهذا الذى تلاقيه ، فحين لقيته امتلأت نفسها تمردا وحنقا ٠ حتى محمد بن الحاج وانى يتركها ليلعب القمار ، وتتمرد بها الليل لماذا تزوجته اذن ٠٠ نعم انها تدرى انها تزوجته لانها لم تتوقع أن تجد غيره ولكن أيكون هذا مصيرها معه ٠٠ وتنظر الى المرآة وتزداد سخطا على محمد وعلى أبيها ٠٠ بل انها تسخط ايضا على هذا اليوم الذى عثر فيه أبوها عليها بالسيارة الواقعة بالحريرة ٠

كانت آمال حاملا فى طفلها الأول وكان موعد وضعها قد اقترب ، ولكن محمدا لم يعبأ كثيرا بهذا فان يكن هذا القادم هو الطفل الاول لآمال فما كان الاول لمحمد فهو لايريد حين يترك البيت عن أن يسألها فى سرعة ٠

ـ أتحس أنا ؟

وتقول ـ لا ·

فيأخذ سمته الى السلم طريقه الى المائدة التي أصبح لايطيق الفيلم دونها ·

وقد كانت في هذا اليوم تحس الآلام ولكنها وجدت نفسها تقول لا ، في غير مبالاة وكأنما خيل اليها انها بهذا تعاقبه على اهماله لها · ونزل محمد وازدادت آلام الوضع وحاولت ان تتصل بزوجها بالتليفون ولكنها وجدته معطلا فأرسلت خادمتها الى عدلية هانم التي تقطن بالطابق الأعلى وسرعان ما نزلت عدلية ثم نادت زوجها أن يحاول الاتصال بمحمد في النادي وان يحضر سيارة أجرة لنقلهم الى المستشفى ·· وكانت السيارة الاجرة أسرع من محمد وركبت عـــدلية وآمال ووقف زوج عدلية المهندس عزت ركبي على باب السيارة حائرا مادا يفعل الى أن صاحت به زوجته

ـ اركب يا عزت ·· فلا يمكن أن نذهب الى المستشفى بلا رجل معنا ·

وركب عزت في حيرة لا يدري مادا يفعل ، وتحركت السيارة وحين جاء محمد اخبرته الخادمة أن سيدتها سبقته الى المستشفى مع عدلية هانم وزوجها ·

وحين وصل محمد الى المستشفى كانت آمال ما زالت تصرخ بينما كان عزت جالسا في بهو المستشفى ما يزال حائرا ، وشكر محمد عزت على اهتمامه ولم يجد عزت مناصا أن ينتظر · ولبس محمد ملابس الاطباء واراد أن يدخل الى زوجته ولكن قبل أن يذلف الى الباب كانت الولادة قد تمت ، وجاءت ابنته الأولى الى الحياة دون أن يكون له نصيب في معاونة أمها ·· ولم تنس آمال هذه الوحدة التي عانتها وهي تواجه الأمومة لاول مرة في حياتها فابتدرت زوجها وهي تراه بعد الولادة مباشرة

ـ ألم تنته البرتيبة الا الآن كثر خيرك يامحمد ·· كثر خيرك يادكتور محمد ·

وأطرق محمد ولم يحاول أن يجيب ، بل ذهب الى السرير الصغير الذي يحمل وليدته وظل ينظر اليها بنظرات فارغة فيها حزن وفيها خجل ، وان كان يحاول ان يجعل فيها شيئا من الأبوة ·

* * *

حين عادت آمال الى البيت وجدت في ابنتها بعض العزاء عن الوحدة ، ولكن ما زال الليل يفترسها منتهرا فرصة وحدتها ، وتجلس الى جوار ابنتها سوسن ولكن الوحدة لاتزول مع سوسن ·

وفي يوم كانت جالسة في الشرفة ، ورأت عزت ركبي قادما ولم تدر لماذا سرعت الى باب بيتها ففتحته وانتظرت حتى صعد عزت فوجدها واقفة بالبـــاب ، وفكر ان يحييها ويأخذ طريقه الى بيته ولكنها سارعت تقول

ـ لم أشكرك ياعزت بك على اهتمامك بي ·

ـ ياستى العفو انا لم أفعل الا الواجب ٠

ـ لا انت فعلت أكثر من الواجب ٠٠ كثر خيرك ٠٠ تفضل

ـ شكرا ٠

ـ تفضل اشرب شيئا ٠

ـ شكرا ٠٠ ولكنى لمحت عدلية فى الشرفة ، ولعلها تنتظرنى ٠

ـ اهكذا ٠٠

ـ مرة أخرى ان شاء الله

ـ أهلا وسهلا ٠

ـ عن اذنك ٠

ـ تفضل ٠

ـ ٣٢ ـ

صلى الحاج والى الفجر حاضرا وقصد الى الأريكة فى نهر بيته وجلس الى جانب الحاجة بيه التى كانت تعد له القهوة وصمت قليلا ثم قال

ـ ما رايك يا حاجة بيه ؟

وصمتت الحاجه بيه وراحت تهز القهوه على النار ثم سكتت بعضا منها فى فنجان واعادتها الى النار مرة أخرى ولم تقل شيئا وادرك الحاج والى انها لا تريد أن تجيب فقال لها

ـ أليس ابو الولد أولى به ؟

وسكتت الحاجة بيه مرة اخرى واستطرد الحاج والى

ـ وهو ايضا صغير لا يحتمل الذهاب الى السدر كل يوم فى البرد الشديد ٠٠٠ وانت عارفه برد الصباح المنكر ٠

وقالت الحاجة بيه

ـ ألم يكن أبوه يذهب فى البرد ٠٠٠ ماذا جرى له ٠

واطرق الحاج والى قليلا ثم قال

ـ لم يكن لمحمد أحد فى السدر استطيع ان أتركه عنده ٠

ـ وهل تعتقد أن أحمد له أحد الآن ؟

ـ لا حول ولا قوة الا بالله أليس أبوه هذا ؟

وقالت الخاجة في صوت غاضب :

ـ لا ... لا ياحاج اباه ... انت آلوه وانا امه هسل رايتـه يسـأل عنـه ... انه حتى الآن لا يعلم ان كان الموعد قد حان ليذهب الى مدرسة البحر أم لا ... لا ... انه ليس أباه .

ـ على مهلك يا حاجة ... انه يعتمد علي وعليك .

ـ انا لا أقول يشترى له شيئا ... انا أقول يسأل ... اسمع يا حاج ... انا لا اطمئن ان يذهب احمد ليسكن مع محمد .

ـ انه آلوه .

ـ أعلم ولكن محمدا ليس عطوفا ... واخشى أيضـا على الولد من امرأة أبيه .

وانت حين ربيت محمد ألم تكوني امرأة أبيه ؟

ـ أنا ياحاج والى احببت ابنك بل واحببت ابنة ضرتي ... انا ... انا ؟

ـ نعم انت خطأ في الطبيعة ... انت استثناء ... انت لا مثيل لك يا حاجة .

ـ اخشى على احمد من امرأة أبيه .

ـ اسمعي يا حاجة ... سأوفق بين رايك ورايي ... أنا سأذهب الآن الى بيت محمد وأكلم آمال دون علم زوجها وأرى ان كانت ترحب باحمد أم لا وسأفهم من طريقة اجابتها حقيقة شعورها وتتصرف بناء على هذا .

ـ قد ترحب ثم تسيء الى الولد حين يقيم عندها .

ـ يا ستي لماذا نقدر البلاء قبل وقوعه ، وعلى كل حال انا نستطيع دائما أن نسترد احمد ... أليس كذلك ؟

وسكتت الخاجة وسكت الحاج واخذ يشرب قهوته في هدوء .

وقالت :

ـ هل ستأخذ احمد معك ؟

ـ لماذا ؟

ـ لا لزوم .

ـ أبدا ... انني سأسألها فقط .

وعاد الصمت الى الروحين لا يقطعه الا دقات الحاج والى للقهوة .

* * *

كان الوقت ضحى حين بلغ الحاج والى منزل ابنه ، وهكذا كان واثقا انه لن يجد

محمدا بالمنزل . وصعد الحاج والى درجات السلم في هدوء بطيء حتى بلغ السقيفة التي يسكن فيها محمد ومد يده يريد أن يدق الجرس ولكنه فوجيء برتاج الباب الصغير يكشف له عن منظر أحد له ..

ورأى الحاج والى شبحين يتعانقان أحدهما لرجل وآخر لامرأة شعرها مرسل على كتفيها وطالت القبلة والحاج واقف داهلا عن نفسه يده بضعف ممتدة الى الجرس وعيناه شاخصتان الى ما يرى وفمه مفتوح من الدهشة — لماذا لم يذهب محمد الى المستشفى حتى الآن ؟ وانتهت القبلة وفتح الباب .. لم يكن محمد في بيته . كان عرف ركبي .. ولم يكن الحاج والى يعرفه ولم يكن هو يعرف الحاج والى ، وقالت آمال في لهفة :

— أهلا عم الحاج .

وظل الحاج صامتا وادرك عرف الموقف الذي يواجهه فنظر قليلا الى الحاج ثم وثب يعدو درجات السلم في سرعة مجنونة .

وقالت آمال :

— تفضل .

ودون أن يجيب الحاج والى أحد سمته الى درجات السلم والضباب يعشى طريقه والذهول يأخذ عليه مسالك تفكيره .

ظل الحاج والى سائرا بجانب بحر مويس يغمض عينيه ويفتحها وكأنما يريد أن يمحو ما رأى فترداد الصورة التصاقا بعينيه ووجهه وكيانه كله .. ماذا يفعل .. أيخبر ابنه — انه اذا فعل فكأنه قتله .. فان الروح يظل معتقظا برجولته حتى يعرف ان زوجته تصت بشرفه .. المعرفة هي الحد الفاصل بين الشرف وعدم الشرف .. فكيف يقول لولده وحيده انه بلا شرف .. أيقول لأبيها وماذا يستطيع ابوها ان يفعل ووثب الى ذهنه في هذه اللحظة موافقة أبيها السريعة على زواجها من محمد وهو من كان زوجا لأخرى قبلها وله منها ولد — لا بد أن زين العابدين يعرف عن أخلاق ابنته عوجا .. ماذا يفعل أيقول له — لا — وحد نفسه يحنو على ابنه أن يعرف أحد حتى ولو كان أبوها ان شرف ابنه مهين مضاع — ماذا يفعل اذن ؟ عاد أدراجه الى بيت ابنه ودق الجرس وفتحت له آمال الباب ودخل الى حجرة الجلوس ودخلت من خلفه وأغلقت الباب وظل ناظرا اليها فترة طويلة ثم قال :

— لماذا ؟

وصمتت وصمت حينا ثم قال :

— ماذا أفعل الآن ... أقول لأبيك ؟

وعاد الى ذهنها ذلك السجن الذي فرض عليها في القرية فقالت في سرعة :

— لا .

— اذن ماذا أفعل ... ماذا يمكن أن أفعل .. لو قلت لمحمد قتلته .

واطرقت آمال صامتة لا تدري ماذا تقول وعادت الى همسها بينها وبين نفسها وحدثها بالقرية فهي تقول تقول وهي :

ـ لا تقل لابي ·

ـ واسكت ··· أسكت كأني لم أر شرف ابي يلطخ على يديك ··· أسكت يا ست آمال ؟

وصمتت آمال لحظات ثم قالت :

ـ انها أول مرة ·

ـ أتظنين ان هذا يهمس كثيرا ··· ان مجرد عزمك على هذا يكفي ·

وساد الصمت ··· وعاد الحاج يقول

ـ من هو ؟

ـ المهندس الذي يسكن بالطابق الأعلى ·

وعاد يقول وكأنه لم يسمع الاجابة

ـ ماذا أفعل ـ ماذا أفعل ؟

وقام عن كرسيه وتركها واقفة وقصد الى الباب الخارجي وأخذ سبيله الى الطريق يمشي بجانب بحر مويس والضباب يغطي طريقه ··· انهذا كنت حريصا على ان يكون لي أولاد ·· انهذا تجيء بهم ·· ماذا أفعل ·· ماذا أفعل ؟

لم يدر ماذا أراد أن يذهب الى محمد ويراه ··· أحس كأنه يريد أن يستوثق انه لا يعرف عن زوجته شيئا ، أو أحس أن ابنه جريح وانه لا بد أن يكون بجانبه ، لا يدري أي دافع حمله وانما أحس انه يريد أن يرى ابنه ، ووجد قدميه تقودانه الى المستشفى الأميري التي تقع على بحر مويس ذلك النهر الذي صاحبه منذ دخل في عمار نكبته ولم يفارقه ، ظل سائرا بجانب النهر حتى وجد نفسه أمام باب المستشفى ومع ظهور الباب طالعه سؤال لم يفكر فيه ··· ماذا هو قائل لابنه ، أي سبب سيختلقه ليبرر هذه الزيارة ؟ ولم تطل حيرته ··· فسرعان ما قفز أحمد الى ذهنه ، ودخل الى المستشفى وسرعان ما استدعى له محمد الذي قبل يد أبيه في محاولة حائرة أن يخفي دهشته من الزيارة ـ ونظر الأب الى ابنه وهو يقبل يده وأحس نحوه حبا كبيرا ووجد يده تربت ظهره في حنان وتشبثت يده لحظة بحاكمة محمد فقد خالجت نفسه رغبة ملحة أن يعانق ولده ثم استيقظ من خواطره ··· مما تعود ان يعانق ابنه كلما لقيه ··· وانعرجت اصابعه عن الحاكمة وأمسك بيد ولده وقاده الى الكرسي وجلسا ·

ـ كنت في السفر وخطر لي أن أراك ·

ولم يكف هذا السبب عند محمد وأحس ان اباه ما زال يخفي شيئا آخر فنظر اليه وحب الاستطلاع لا يريد أن يبارح عيناه وقال

ـ أهلا وسهلا ... شرفت .

ـ وصاك موضوع قلت أكلمك فيه .

ـ أنا تحت أمرك ياابا .

ـ أحمد ..

وسكت الأب وسكت محمد وفكر الحاج وانى ان أحمد ربما يكون رقيبا على آمال يضعها ... وقبل ان يسترسل فى تفكيره . نظر الى محمد وكأنما حتى أن يكون قد أبصر ما يفكر فيه فقال دون ريث تفكير

ـ انت تعلم ان موعد دخوله المدرسة الابتدائية قد حل .

ـ نعم .

ـ أخاف عليه من الصباح الباكر وبرده فانا لا أنسى يوما مرضت انت فيه بالالتهاب الرئوى وتعلقت انفاسنا بأنوار السماء حتى شفاك الله .

ـ انا تحت أمرك .

ـ يخيل الى انه لو اقام معك لكان هذا انسب له .

ـ انا طبعا ...

وقاطعه أبوه .

ـ وطبعا انا سأقدر زيادة التكاليف عليك .

ـ انت لا تؤخر عنى طلبا .

ـ وهل لى الا انت يا ابى .

واحس سكينا حادة وهو يقول هذا وعاوده الضباب .. اتراني ظلمتك حين جئت بك الى الدنيا ولم ير محمد ما يعانيه أبوه وكان يفكر فيما يريد ان يقول وهوم الصمت على الاثنين لحظات ثم تنحنح محمد وقال

ـ الحقيقة انى اطمئن على احمد مع أمى الحاجة أكثر مما لو كان عندى فى البيت .

ونظر الأب عليا الى ولده وأدرك ما يريد ابنه ان يقول ثم قال

ـ لعلك على حق ... طيب أقوم انا .

ـ لم تشرب القهوة .

ـ وراءك شغلك ... سلام عليكم .

ـ مع السلامة ياابا .

وقبل يده وهو يسلم عليه ... وخرج الحاج والى مرة أخرى الى الطريق وبحر مويس .. لم يعد موضوع احمد يهمه فى ذاته .. وانما كان يريد ان يرى محمدا

وقد رآه ... وسار في الطريق وعاد الصباب يعشى سبيله ولكنه نوع آخر من الصباب .. رفع الحاج والى يده الى عينه ومسح الدموع التى تراكمت على اهدابه .

- ٣٤ -

داب الحاج والى منذ ذلك اليوم أن يزور بيت ابنه في كل وقت من اوقات النهار . ودهش محمد لهذه الزيارات المتكاثرة ولكن آمال عرفت ما يريد الحاج والى أن يفرضه عليها من رقابة .

وكان الحاج والى يعتبر نفسه المسئول وحده عما يجرى في بيت محمد فقد حمل السر وحده لم يبحه لأحد ولا حتى لزوجته حمل السر وحده ثم حمل عرفه في حياته الطويلة ... كان يحس به سرا أشد وطأة من الحياة نفسها ... وكان كلما ضاق بسره قصد الى الرفاريق وداعم بيت محمد . وقليلا ما كان يجد محمدا وما كان هذا يعنيه في شيء ، بل كان حين لا يجده يدخل الى البيت ويظل صامتا لا يتحدث وتحضر له آمال القهوة ويشربها ويظل ناظرا اليها طوال جلسته لا ينطق بل يترك عينيه تقولان وقد كانتا تقولان كثيرا وكانت آمال تستمع الى هذا الحديث الصامت فينصب على قلبها كأنه المدى القاطعة . وتحاول ألا تنظر الى الحاج ولكن عينيه الهادرتين بالحديث ما تلبثان أن تفرضا عليها أن تنظر اليهما لترى وتسمع الحديث الصامت وتواصل المدى عملها في قلبها بل في كيانها جميعا .

* * *

ويشرب الحاج والى قهوته ويطلق تنهيدة ينزعها من اعماق آلامه ويقوم الى الباب لا يسلم . فاذا اقفلت آمال الباب من خلفه تهاوت في بكاء صاحب ثائر ثورة لا تدرى كيف تنفس عنها .

وفي يوم بينما الحاج والى جالس معها وعيناه مشتتان عليها قالت له فجأة :

ـ عم الحاج .

ولم يجب فواصلت الحديث .

ـ أتستطيع أن تفعلي ؟

ولم يجب فواصلت الحديث .

ـ كنت قد عددتني أن تقول لأبي ورحوتك ألا تفعل ... أتراك اذا قلت له تكف عن هذه النظرات ... قل له ... قل له ... فقط كف عن هذه النظرات .

ـ وانخرطت في البكاء ولم يقل الحاج والى شيئا وانما قام وانصرف شاكيا دائما .

وفي يوم عرض عليها محمد أن يسافرا الى القاهرة وكأنما انبثت كلمة القاهرة فكرة في نفسها لم تكن تخطر لها ...

وفي القطار قالت لمحمد :

ـ انه الآن مكتوب في الزقازيق يا محمد ،
وأحس محمد الزهو وهو يقول :
ـ الحمد لله .
ـ سألني ناهد قالت لي انها تعرف زبائن من مصر جاءوا اليك في الزقازيق لتعاملهم .
ـ صحيح ؟
ـ الم تكن تعرف ؟
ـ انا لا أسأل الزبائن من أين جاءوا .
ـ ناهد قالت لي هذا ... وقد ذكرت لي أسماءهم ولكني نسيتها .
ـ اذن فزوجك رجل مهم .
ـ انت طيب ، محمد ليس فيك الا عيب واحد .
ـ أعرفه ... انه يسلبني يا آمال ... يحملني انسى كل ما الاقيه أثناء النهار !!
ـ يا ترى يا محمد لو انتقلنا الى مصر .
ـ ماذا ؟
ـ ان اسمك كبر الآن ... ستجد زبائن أكثر من زبائن الزقازيق وقد تجد تسلية أخرى .
ـ اما الزبائن فلا أعلم ... مصر واسعة واخشى ان أضيع فيها وسط الزحام ، أما التسلية الأخرى فأشك كثيرا ان أجد شيئا يسليني عن الورق يا آمال .
ـ تجرب .
ـ ألا تخشين ان تكلفنا التجربة زبائن الزقازيق ولا تعوضنا زبائن مصر .
نجرب والحمد لله لا نحتاج للمال انت وحيد أبيك وأنا وحيدة أبي ومرتبك يكفينا ... فما الضرر ان نجرب .
ـ على شرط .
ـ قل شروطك كلها .
ـ أن تفقدي الأمل في أن أترك لعب الورق .
ـ لا بأس ... يكفي أن أكون في القاهرة وأتنفس .
وأطلقت تنهيدة عميقة وأحست انها أخيرا تستطيع فعلا أن تتنفس .

ـ ٣٥ ـ

حين ابلغ محمد اباه انه نقل الى القاهرة صمت الأب طويلا حتى اضطر محمد آخر الأمر أن يقول :

ـ ماذا يا أبا ... أيعجبك هذا ؟

وظل الحاج والى صامتا فترة اخرى ثم قال فجاة وقد عاوده شعور بالخوف ان يرى ابنه الأفكار التى تدور برأسه ٠

ـ وما الداعى لهذا النقل ؟

ـ المجال هناك أوسع ٠

ـ هنا يعرفك الناس ٠

ـ وسيعرفنى الناس هناك ٠

ولم يكن الحاج والى يحتاج الى كثير تفكير ليدرك أن آمال هى التى ألحت لانتقام هذا النقل ولكنه لم يستطع أن يقول شيئا الا ٠٠٠

ـ مصر واسعة يا محمد ٠

ـ والناس فيها كثيرون ٠

ـ أخشى أن تضيع هناك بين الأطباء بعد أن أصبحت هنا معروفا ٠

ـ ألا تثق فى ياأبا ٠

وصمت الحاج والى قليلا ثم قال

ـ بل انى أثق فيك كل الثقة ٠

وعاد الى الصمت وهوم السكون عليهما لحظات ثم قال

ـ يا محمد حد بالك من ٠٠٠

ولم يكمل

وقال محمد

ـ ممن يا أبى ؟

وتنهد الأب ثم قال

ـ من صحبتك يا ابنى

وفهم محمد ما يقصده أبوه او خيل اليه انه فهم فأطرق فى استحداء فقال الأب

ـ انك تسهر كثيرا ولا تراعى ٠٠٠

وصمت محمد وأكمل بعد تنهيدة عميقة

ـ صحتك ٠

وعاد الصمت مرة اخرى يخلق على الأب وابنه ثم قال الحاج والى

ـ انك تحتاج لفلوس للنقل ولانشاء عيادة ٠

وسكت محمد وقال الأب

ـ خد ٠٠٠ معى الآن مائة جنيه وان احتجت لزيادة ارسل لى ٠

ـ أطال الله عمرك يا أبا ..

وانصرف محمد وظل الأب وحيدا وحين قدمت اليه الحاجة نبيه وحدته ساهما مفكرا ولم تحاول أن تسأله عما به ، بل تركت الغرفة وعاد هو الى وحدته وان كان لم يفارقها .. لماذا تفعلين هذا بنا يا آمال .. لماذا تفعلين هذا بنا .. ؟

* * *

سرعان ما استعاد محمد صلاته بأصدقاء الكلية فقد كان يتصل بهم كلما جاء الى القاهرة بحين نقل اليها كان على علم بمكان اصدقائه جميعا . وفي مقدمتهم محمدي عبد العزيز الذي أصبح طبيبا بمستشفى الملك حيث نقل محمد وهكذا التام الصديقان مرة اخرى تجمع بينهما الذكريات القديمة والرمالة في المستشفى .

وما أن استقر المقام بمحمد وآمال وسوسن في القاهرة حتى أخذ محمد يبحث عن طلبته . الطلبة الأولى رفقة يشاركونه اللعب والطلبة الثانية شقة تصلح عيادة له . وقد حقق له محمدي الطلبتين كليتهما . فان يكن محمدي عبر هاو للعب القمار الا انه يجلس مع اللاعبين كل ليلة في نادي القاهرة قانعا بالمشاهدة عن الاشتراك في اللعب وسرعان ما انضم محمد الى هؤلاء اللاعبين واثقا ان ليس بينهم حساب بعض في اللعب .

كما استطاع محمدي بما له من صلات ممتدة في القاهرة أن يعثر لمحمد على شقة مناسبة في ميدان الأزهار لتكون عيادة له .

أما آمال فانها قبل ان يستقر بها المقام في القاهرة كلمت صديقتها ناهد وما أسرع ما تم بينهما اللقاء .

ـ أخيرا يا آمال .. أخيرا عدت الى مصر .

ـ انت لا تعرفين كم كنت اشتاق الى مصر واليك .

ـ حدثيني عن أيامك في الرقازيق .

ـ أيام سوداء ... لا أراك الله مثلها .

ـ سأعوضك عنها أياما بيضاء مشرقة .

ـ أحتاج الى سنين طويلة لأعوض ما شعته من عذاب .

ـ هل كان لك أصدقاء في الرقازيق ؟

ـ زوجات من الموظفين .

ـ لا ، أنا أقصد أصدقاء لا صديقات .

ـ اسكتي .

ـ وراء اسكتي حكاية .

وقصت آمال قصتها مع صديقتها الوحيد عرت وما فعله معها الحاج والى ، وحين انتهت قالت ناهد

ـ عيطة .

ـ وماذا كنت افعل ؟

ـ لماذا يكون هذا في بيتك ؟

ـ وابن يمكن أن يكون ؟

ـ انت عيطة .

ـ هل لك اصدقاء ؟

ـ عدد شعر رأسي .

ـ وروحك ؟

ـ يسهر في الخارج واسهر في الخارج ... الا يسهر روحك ؟

ـ يسهر .

ـ ساعوضك عن أيام الرقاريق .

ـ سنرى .

- ٣٦ -

ذهب محمد الى نادي القاهرة في الساعة التاسعة وكان مجدي هناك وتناولا العشاء معا وقاما ينتظران اللاعبين في حجرة اللعب وجاء احد اللاعبين وقال لمحمد

ـ يظهر انه لا يمكن عمل برتيتة الليلة .

ـ لماذا ؟

ـ يسري وحمدي سافرا يعزبان زميلا لهما في المنصورة وقال مجدي لمحمد

ـ تأخذ اجازة ليلة .

وقال محمد في ضيق

وماذا نعمل ؟

وقال مجدي فجأة

ـ عندي فكرة ... الا تحب أن ترى بعض الذكريات .

ـ الحقيقة يا مجدي الا شيء عندي يسليني مثل اللعب .

ـ بل عندي أنا ما يسليك أكثر من اللعب .

ـ يا شيخ ..

ـ اسمع كلامي .

ـ ماذا ؟

ـ أتعرف عزيزة ؟

ـ الله يرحم أيامها ٠

ـ انها الآن فى عزها ٠

ـ ماذا ؟

ـ لها بيت يجتمع فيه السيدات من الطبقة الراقية ليلتقوا ناجرين ٠٠٠ الليلة هناك ليلة من الف ليلة ٠٠٠ مرح وضحك وسرور ٠٠٠ لو دخلت مرة سيبت القمار الى الأبد ٠

ـ يا عم أنا متروح وليس لى فى النسوان ٠

ـ وأنا ايضا متروح ٠٠٠ انما سنجلس فقط نضحك ونلهو ثم نروح ٠

ـ ومادا نستفيد مما اذا كنا لن ندفع شيئا

ـ ليس من الضروري أن يدفع جميع من يذهب اليها ... فان القلة التي تدفع تعوضها عن جميع الآخرين ... فما هيه مادا قلت ؟

ـ ما نرى .

وفي غير حماسة رافق محمد صديقه محمدي الى بيت عزيزه ... وكانت الساعة قد جاوزت العاشرة بقليل حين دق محمدي، حرس البيت وفتح الباب عن صحيح صاحب ودخل محمدي وهو يجر محمدا جرا ..

وحين بلغا اول الردهة رأيا مصادر الضجيج نساء عاريات الصدر يطلقن الضحكات المعربدة وقد التففن حول صدورهن أيدي رجال تراوحت أعمارهم بين الشباب والكهولة والشيخوخة . وقال محمدي لصديقه

ـ انتظر لحظة حتى أنادي عزيزة

وتركه وحيدا ودلف داخل الشقة ولم يجد محمد ما يفعله الا أن يطالع الوجوه فراح يمر بها ... وفجأة تسمرت عيناه على زوجته آمال بين يدي رجل من هؤلاء ... لم يصدق .. ونفرس .. انها هي .. وقد رآه وانتفضت من بين ذراع رفيقها وأرادت أن تفعل شيئا ... لم تكن تدري ماتريد أن تفعل ولا درى هو وانما في لحظة حرم أمره على شيء واندفع نحو باب الخروج لاهثا ... وخرج الى الطريق ... أيقتلها . روحه داعره وروح قاتل وتحل الحماية على نفوس واحمد ... حبيبي أحمد ... مادا يفعل .. وجد نفسه يركب سيارة أجرة ويأمر السائق أن ينطلق الى المنيرة ... مادا يفعل في البيت ... نزل من السيارة وطرق باب البواب وخرج اليه البواب نصف نائم .. وسأله محمد

ـ أتعرف مكان المأذون هنا ؟

وقال البواب

ـ نعم .

وقال محمد في حزم

ـ تعالى معي

وطرق باب المأذون طرقا ملحا حتى فتح ودخل محمد والبواب وسائق السيارة الأجرة . وبعد دقائق كانت آمال طالقا .

وعاد محمد الى البيت وفتح الباب وجد « آمال » بالبهو وقامت تجري اليه .

ـ محمد ..

ـ انت طالق وهذه ورقتك .

ورمى الورقة على الأرض وأمسكت آمال يده .

ـ أرجوك . أبوس يدك .

وتنر محمد يدها وجرى الى السلم . ووجد سائق السيارة الأجرة ما زال واقفا فسأله :

ـ أتذهب الى الزقازيق ؟

ـ الآن ؟

ـ نعم .

ـ أذهب .

وفي الساعة الثالثة من صباح اليوم التالي كان محمد يطرق باب أبيه وفتحت الخاجة نعمه الباب وارتاعت حين رأت محمدا رائع النظرات حائرا ملتاعا ودخل محمد .

ـ أين أبي ؟

وقال الحاج والي وهو يقف على باب حجرته :

ـ أهلا محمد ... خير يا ابني ؟ .

ـ أبا ... أبا

واقترب الحاج والي من ابنه واحتضنه بذراعه اليمنى وسار به الى الأريكة وجلسا .

ـ مالك يا محمد ؟

وانفجر محمد .

ـ طلقتها يا ابا ... طلقتها ... طلقتها .

وانطرق الحاج والي قليلا وراح الصباب يتصاعد امام عينيه ولم يجد شيئا يقوله الا :

ـ خيرا ان شاء الله ... خيرا ان شاء الله .

* * *

لم ينم محمد ليلته وانما راح يتقلب في فراشه حتى آذن الفجر بشروق وقام الى البهو وجلس به وحيدا فلم تطل وحدته فقد قام أبوه الى صلاة الفجر ... وانتظر محمد حتى ختم أبوه الصلاة فقال له :

ـ أبا ... اريد أحمد معي .

ـ انت تسهر في الخارج واحمد سيكون وحده ولن تراقبه .

ـ أريد أحمد معي يا ابا ولن أسهر ... سأعيش له يا ابا .

ـ ماشئت يا بني ... ما شئت .

وصحب الحاج والي ابنه وحفيده الى القطار فركباه وحين عاد وحيدا الى طريق القرية لم يتصاعد الصباب أمام عينيه ... أحس كان الصباب قد ركب القطار مع ولده وحفيده . لقد آن لمحمد أن يحمل العبء الذي حملته ... وتدور الحياة .